معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH

Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, Special Issue, (2019), pp. 128-139
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

Submission date: 15 September 2019
Accepted date: 12 October 2019

إحياء مصطلحات قرآنية وصوفية: دراسة التراكيب الفكرية للشيخ عبد السلام ياسين

REVIVING OF QUR'ANIC AND MYSTICAL TERMINOLOGIES: A STUDY OF INTELLECTUAL COMPOSITIONS OF SHEIKH ABDESSALAM YASSINE

Abdulrahman Obeid Hussein
Faculty of Quranic and Sunnah Studies, Universiti Sains Islam Malaysia
71800, Bandar Baru Nilai, Negeri Sembilan, Malaysia.
E-mail: drabrahman@usim.edu.my

الملخص

المصطلحات معالم دالة على التغيرات اللغوية والفكرية للفظ في سياقات تاريخية وقد يحتفظ اللفظ بشيء من معناه الأصلي في تحولاته المتعاقبة لكنه ينفلت من الحيز المعجمي الضيق ويختصر في دوره الجديد أبعاداً فكرية واجتماعية وحضارية. والشيخ عبد السلام ياسين واحد من المفكرين الذين تخلقوا بالقرآن واتخذوه نبراساً للفكر والذكر، ويهدف هذا البحث إلى عرض المصطلحات والمفاهيم الفكرية والتربوية التي أبدعها الشيخ ياسين في معرض ردوده على دعاوى الحداثة والفكر الغربي، وحرص على استلهامها من نصوص القرآن الكريم، وإخراجها من دائرة التأصيل التجريدي إلى ساحة العمل البناء. والمنهج المعتمد قائم على استقراء المصطلحات القرآنية والصوفية من مؤلفات الشيخ ياسين وإخضاعها لمنهجي التحليل والنقد بغية إظهار مدى قوتها وفعاليتها. وأهم النتائج التي توصل إليها البحث: مفهوم القومة الذي أسسه الإمام ياسين منهج قائم على سبع نقاط تبتدئ بقومة الرسول في قومه، بالرفق والتيسير وتنتهي إقامة الوحدة؛ أكثر المفاهيم القرآنية رسوخاً عند الشيخ ياسين مفهوم المنهاج الذي صار علماً على مشروعه الإصلاحي (المنهاج النبوي)؛ وضع الإمام ياسين مجموعة من القواعد المقاصدية لضبط التجربة الصوفية، وحقائق أهل التصوف، ومنهاج السلوك خارج الحضرة الصوفية، وصاغ هذه القواعد على شكل نقاط في غاية الاختصار والإيجاز إلا أنها تشكل معالم كبيرة في طريق التجربة الصوفية؛ المحافظة على العقل من متاهات المعرفة الصوفية مقصد مارسه الإمام ياسين حين انقطع عن الحضرة الصوفية وانصرف بكليته إلى العمل التنظيمي.

كلمات مفتاحية: المصطلحات القرآنية، ياسين، التصوف، صياغة، بلورة.

ABSTRACT

Terminologies are indicators of linguistic and intellectual changes of a vocabulary in its historical context. This vocabulary may preserve some of its original meaning despite the sequential shifts, but it will get away from the lexical meaning and abbreviate intellectual, social and cultural dimensions. Sheikh Yassine is one of thinkers who took the Quranic teachings an intellectual

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH

Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, Special Issue, (2019), pp. 128-139
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

reference. This article aims to present the educational and intellectual terminologies that Yassine developed in response to modernity and western thought. He was excessively concerned to derive those terminologies from the Quran and give them a practical dimension. The method used in this research is inductive by collecting terminologies from Yassine's books, and subject it to the method of analysis and criticism in order to show its influence. The most important outcome of this research is the conception of *qawmah* (uprising) that Yassine invented is based on seven stages starting from the prophet's revolution among his people and ended with establishing a united *ummah* (Islamic community). While the most firmed concept of Yassine is *minhaj* which become a code that actualize his project of reformation. Yassine has set some precise principles to deal the mystical experience and teachings of *tasawwuf* and finally he called for protecting reason from the mazes of mysticism when he dedicated his life completely to *da'wah* (missionary) and reformation.

Keywords: Quranic terminologies. Yassine. Mysticism. Framing. Crystallization.

1. المقدمة

المصطلحات معالم دالة على التغيرات اللغوية والفكرية للفظ في سياقات تاريخية وتوافقات جمعية لا تلبث أن تتسع دوائرها لضبط المعاني الجديدة وتمتين الوشائج بينها وبين مثيلاتها من الألفاظ، وقد يحتفظ اللفظ بشيء من معناه الأصلي في تحولاته المتعاقبة لكنه ينفلت من الحيز المعجمي الضيق ويختصر في دوره الجديد أبعاداً فكرية واجتماعية وحضارية، وبقدر ما يتكون الحاضنة الأولى للفظ ثرية وفعالة يكون المصطلح المتولد منها مدوياً ومؤثراً ومهيمناً، والقرآن الكريم كلام الله تعالى لا يأتيه الباطيل من بين يديه ولا من خلف، جامع مانع، معجز في معانيه ودلالاته، حوى من الألفاظ أجملها وأوعاها، ومن المصطلحات أدقها، ولانت كثير من ألفاظه للاشتقاق والبناء وصناعة مصطلحات جديدة، ويقتضي التعامل مع مفردات أي قضية علمية تكييف مجموعة من المصطلحات والمفاهيم الخاصة بها، ويختلف الباحثون في تكييفها فقد تجد مقالاً صغيراً محشواً بكم هائل من المصطلحات والمفاهيم ذات الصلة منها والحشوية أيضاً، وتظهر قوة المصطلحات والمفاهيم إذا تكررت في نسق واحد ومحدد في مجموعة من المؤلفات وضعت في فترات زمنية مختلفة. وأهمية الكتابة عن إحياء المصطلحات القرآنية والصوفية في مؤلفات الشيخ ياسين تساعدنا على استكشاف مدى تخلق المفكر بالقرآن واتخاذه نبراساً للفكر والذكر، وتظهر لنا مدى حرص المفكر ياسين على استلهام المصلحات والمفاهيم التربوية والفكرية والفلسفية من نصوص القرآن الكريم، وتأسيس منهاجه النبوي في ضوءها، وقد أنضجت الممارسة الدعوية والقراءات المتواترة للفكر الغربي ونقده تعاليم هذه المنهاج، وصاغت منه نظرية فكرية بديلة عن دعاوى التلفيق الثقافي. والمنهج المتبع لعرض هذه النقاط قائم على استقراء المصطلحات القرآنية والصوفية في مؤلفات الإمام عبد السلام ياسين واقسيمها حسب الأهمية والاستعمال، واستخدام المنهج التحليلي والنقدي لبيان أثر وفعالية هذه المصطلحات.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, Special Issue, (2019), pp. 128-139
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

والاصطلاح: اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضوعه الأول وإخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما[1]. والمصطلح أكثر شيوعاً وتداولاً من المفهوم، الذي يقتبس من فحوى الألفاظ وإشاراتها لا صيغتها على حد تعبير ابن قدامة[2]، لأن الأخير نتاج فردي لم يصل إلى مرحلة الاتفاق والتقرير والإدراج في المعاجم الخاصة فيبقى محصوراً عادة بمؤلفات من صاغها وقلما ينتقل لحيز التداول العام وهذا لا يقلل من قيمته وقدرته التعبيرية على اختصار مجموعة من الأفكار. وقد ارأتينا أن يكون عنوان البحث: بلورة المصطلحات القرآنية لا المفاهيم القرآنية مع العلم أن تعاملنا هو مع المفاهيم بالأساس، والسبب في ذلك هو أن القرآن الكريم حول مجموعة من المفردات والتراكيب التي كانت دارجة في الخطاب اليومي للوثنيين إلى مصطلحات إسلامية مباشرة ودون مقدمات واكتسبت معانيها الاصطلاحية من خلال التطبيقات النبوية العملية كالصلاة والصيام والزكاة والطهارة والظهار والجهاد، وبقيت مفردات وتراكيب قابلة للتحويل والتحوير، وقد وجد الشيخ ياسين فسحة منهجية في طرق بعض التراكيب القرآنية وتحويلها إلى مفاهيم ومصطلحات، فالقومة مفردة قرآنية طوعها الأستاذ ياسين لتصبح مصطلحاً عميقاً وراسخاً في طريق الدعوة القرآنية والفكر القرآني فأخرجه عن المعاني اللغوية المباشرة للمفردة، ومفهوم اقتحام العقبة كان تركيباً عادياً تحول تحت مطرقة الفكر والدعوة للأستاذ ياسين إلى مفهوم شامل له دلالاته التربوية والدعوية.

2. منهج الإمام ياسين في التعامل مع مصطلحات الفكر الغربي وتمثلاته

الحداثة وما بعد الحداثة من المفاهيم التي شغلت ساحة الفكر العالمي منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، ورغم انطلاقتها في بيئة غربية عانت من ويلات الحرب (الأخوية بين الأوروبين) إلا أنها أصبحت شعاراً لكل دولة تسعى إلى تغيير واقعها بغض النظر عن السياقات السياسية والتاريخية، واستورد علمانيو العالم الإسلامي المفاهيم الغربية وأدخلوها قسراً في الأدبيات الدينية، ويرى الأستاذ ياسين أن خطاب اليساري الماركسي ونظيره الليبرالي لا يختلفان من حيث المبدأ، فكلاهما يستقي من منهل الحضارة الغربية (حظيرة الأسياد)، فورد الليبرالي هو الديمقراطية والتعددية والحرية والتنمية والسوق الحرة... وباختصار اللحاق بالركب الحضاري، في حين أن ورد اليساري هو محاربة العقلية البرجوازية الفردية، والدفاع عن سيادة القيم الاشتراكية[3]، وكلاهما يحارب تاريخه وحضارته ولغته وثقافة ودين مجتمعه.

ومواجهة الحداثة وفق رؤية الأستاذ ياسين قومة تتم عبر مراحل من أسلمتها، وأول خطوة لأسلمة الحداثة هي أن نتحول من مستهلكين للحداثة، مسخرين لها أشبه بالمزابل التي تلقى فيها النفايات الملوثة والفئران التي تجرب عليها الأدوية المشبوهة إلى زبائن يقظين يحاسبون الحداثة على ماضيها[4]، والخطوة الثانية هي في اقتحام العقبة التي تصيرنا

[1] الجرجاني، علي بن محمد بن علي (1405هـ). *التعريفات*. بيروت: دار الكتاب العربي، ص 44.

[2] المقدسي، ابن قدامة (1971م). *مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر*. بيروت: دار القلم، ص 134.

[3] ياسين، عبد السلام (1994م). *حوار مع الفضلاء الديمقراطيين*. الدار البيضاء: مطبوعات الأفق، ص 34-35.

[4] ياسين، عبد السلام (2000م). *الإسلام والحداثة*. المغرب: مطبوعات الهلال، ص 55-56.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, Special Issue, (2019), pp. 128-139
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

لاهثين وراء الحداثة هدفنا اللحاق بها، واقتحامها يقتضي منا امتلاك الوسائل العلمية والتقنية من أجل تكييفها لغايتنا الاجتماعية: العدل والإحسان[5]. وهذا الاقتحام حوّل ثقافة الاحتقار والازدراء التي شحنت بها الثقافة الغربية تجاه مستعمراتها إلى احترام تفرضه الأمم القادرة على الاحتفاظ بهويتها الثقافية والأخذ من الحداثة بنصيب وافر في مجال التقدم التكنولوجي والعلمي والتنظيمي، وضرب الأستاذ ياسين على ذلك مثلاً دولة ماليزيا[6]. ومن هنا كان لزاماً على المسلمين استرداد العقل العلمي التجريبي الذي كان بين يدي أجدادنا وشيدوا به صرح العلوم، وأن نستثمر هذه العقلية في نفع البشرية ودعم أواصر الأخوة الإنسانية لا لبث القطيعة والتدمير[7]. وأسلمة الحداثة تعبير استخدمه الأستاذ منذ سنة 1978[8]، ومنذ ذلك الوقت أصبحت تعبيراً رائجاً في المؤلفات الفكرية،

وفي هذا الباب أسس الشيخ مجموعة من المفاهيم في معرض رده على الفكر الغربي وتداعياته في الأوساط الثقافية (المسلمة)، ومن هذه المفاهيم (العقل المعاشي) وهو العقل الذي يحكم شؤون المعاش بحذق بعيداً عن تعاليم الوحي، وقد بلغ ذكاء العقل المعاشي أقصى مداه التكنولوجي إلى حد الآن في الصناعة التواصلية، والتكنولوجية المعلوماتية الإعلامية[9]، وللعقل المعاشي العلومي مجال واسع للتفكير والتدبير المنطقي في نطاق الكونيات، ومتى حاول هذا العقل أن يقتحم ما فوق طوره هام في بحور الفلسفة والأطروحات والتقديرات[10]، والعقل المعاشي مشترك بين الكافرين والمؤمنين يسيطر بمنجزاته العلومية الصناعية؛ ولهذا العقل صولة في العالم وحضور ماثل تجسده الاختراعات والمصنوعات والصواريخ، يملأ ذلك أعين الناس وآذانهم، ويسكن هواجسهم[11]. وعقلنة العقل المعاشي بالتعقل الإيماني. يراها الأستاذ تأهيلاً ضرورياً لطاقات العقل والساعد والخبرة كي نكسب في السوق العالمية التنافسية[12]. ولم يقص الوحي العقل المعاشي المدبر للشؤون الحياتية، بل نصبه أميراً في مجالاته المشتركة بين البشر عندما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصار في مسألة تأبير النخل : "أنتم أعلم بأمور دنياكم".[13]

ومن هذه المصطلحات (المهيع)، والهيعة كلمة تجمع معاني الحركة والفزع والجبن والضعف والجزع والضجر والحيرة. وهذه المواصفات تنطبق على الفاشلين من الساسة المناضلين القوميين، اللبراليين والرجعيين، وأحلافهم من

---

[5] المرجع السابق، ص 59.

[6] المرجع السابق، ص 61.

[7] ياسين، عبد السلام، *حوار مع الفضلاء الديمقراطيين*، ص 41.

[8] ياسين، عبد السلام، الإسلام والحداثة، ص 9.

[9] ياسين، عبد السلام (1997م). *حوار مع صديق أمازيغي*. الدار البيضاء: مطبوعات الأفق، ص 55.

[10] ياسين، عبد السلام، (1994م) *محنة العقل المسلم بين سيادة الوحي وسيطرة الهوى*. الرباط: مؤسسة التغليف والطباعة والتوزيع للشمال، ص 5.

[11] ياسين، عبد السلام. (1996م) *تنوير المؤمنات* الدار البيضاء: مطبوعات الأفق، ص 238.

[12] ياسين، عبد السلام، (2003م) *الشورى والديمقراطية*. بيروت: دار الطباعة والنشر، ص 362.

[13] ياسين، عبد السلام، *محنة العقل المسلم*، ص 25.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, Special Issue, (2019), pp. 128-139
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

المنافقين والمشركين أمام صعود الدعاة إلى دين الله الخالص. والسياسة مهيع بكل هذه المعاني، مع الناس وضد الناس وفي زحمة الناس يجري المناضل والزعيم خلف ميتافزيقا إديولوجية، أو خلف أهداف واقعية. خلف التنمية والتحرر وحقوق الإنسان والديموقراطية والحضارة وكسب التكنولوجيا والسيطرة على الطبيعة والقوة والاكتفاء الغذائي وما بين يَدَي هذا وخلفه[14]. ومهيع الحضارة الغربية هو المستنقع الذي يرى المتغربون من أبناء العالم الإسلامي أنه المنجى والخلاص[15]. ومثلهم الذين جروا في مهيع الأمازيغية والقومية العربية.[16]

3. المفاهيم القرآنية في الفكر الدعوي والصوفي للإمام عبد السلام ياسين

ومن هذه المفاهيم (القومة)، وهذا المفهوم مستلهم من القرآن الكريم، وتحديداً من قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: 19]، وقوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: 29]، وقوله عز من قائل: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى: 11]، والقومة قضية أجيال للنهوض بالأمة من نكستها التي دامت قروناً، ويقع العبئ الأعظم من القومة على الجيل الأول من حملتها في وضع الأساس المتين الذي تقف عليه الأجيال القادمة، بعيداً عن الشعارات البراقة والزائفة[17]. ورجال القومة من هذا الجيل لا بد أن يكونوا قرآنيين نبويين، من الأمة وإليها ومعها، ولا شك أنهم نخبة ولكن هذه النخبة عليها تحويل الجماعة كلها إلى نخبة لا أن ينصبوا أنفسهم أوصياء على الأمة ويجهزوا أنفسهم حكاماً أبديين للغد.[18]

والقومة منهج قائم على سبع نقاط، وهي: قومة الداعي تبتدئ بقومة الرسول في قومه، بالرفق والتيسير. 2. القومة هدفها إحلال العدل محل الجور. 3. إقامة الصلاة. 4. تطهير الفطرة مما علق بها من الشوائب. 5. إقامة حدود الله. 6. تحكيم مبدأ الشورى. 7. إقامة الوحدة[19]. ولن تدور رحى القومة وآلياتها، ولن يستقيم سيرها، إذا كان الأساس الاقتصادي خرباً.[20]

---

[14] المرجع السابق، ص 341.

[15] المرجع السابق، ص 357.

[16] ياسين، عبد السلام، *حوار مع صديق أمازيغي*، ص 186.

[17] ياسين، عبد السلام. (2005م) *سنة الله*. تطوان: مطبعة الخليج العربي، ص 292.

[18] ياسين، عبد السلام (2001م) *رجال القومة والإصلاح*. الدار البيضاء: مطابع إفريقيا الشرق، ص 32.

[19] ياسين، عبد السلام (2000م) *العدل، الإسلاميون والحكم*. المغرب: دار الآفاق. ص 236-238.

[20] المرجع السابق، ص 226.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, Special Issue, (2019), pp. 128-139
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

والقومة تعني نهضة وتغييراً للمنكر، وتعني جهاداً منظماً، ولا جهاد بدون تربية الأمة وتعبئتها للجهاد المرير الطويل[21]. نجد الفهم الجامع، والقومة الشاملة، عند معلم البشرية محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته في حدود بشريتهم وأخطائهم وذنوبهم التي يستغفرون منها ويتوبون ... فإن جئنا بمثالية نظرية للقومة غائبين عن الواقع الممانع وعن النقص فينا فلن تكون قومة، والقومة مجهود، القومة مراحل، القومة مهمة أجيال.[22]

ورأس المفاهيم القرآنية عند الأستاذ هو اقتحام العقبة[23]، وهو مستلهم من قوله تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ [البلد: 11]، وفي التفاسير أن ثمة فرقاً بين إعتاق الرقبة وإعتاق النسمة كما ورد في بعض الأحاديث، فالأولى هي المشاركة بعتق بعض الرقبة وأما الثانية فهي أن ينفرد المرء بإعتقاء الرقبة، ومع الشيخ ياسين يستطيل الإعتاق ليشمل الطبقة المستعبدة والمظلومة، ويشمل الأمة كلها وهي في طريقها لبناء الحضارة الإسلامية! فهذا الاقتحام يحل الإخوة الإنسانية محل الصراعات الطبقية، بعد مواجهة طبيعية بين المؤمن الساعي لتغيير سلوكه، والجماعة الساعية لتغيير واقعها، والأمة الساعية في مسيرتها التاريخية وبين العقبة التي تنتهي باقتحامها[24]، وهذا الاقتحام هو صعود في درجات الإسلام والإيمان والإحسان[25]؛ وفك الرقبة هو أول دليل على عزيمة المؤمن في اقتحام العقبة، وفك الرقبة دعوة مفتوحة لتحرير الإنسان، وقربة إلى الله وعمل صالح، ونشر، وتزكية للنفوس المحرِرة والمحرَّرة معاً.[26]

وأكثر المفاهيم القرآنية رسوخاً عند الشيخ ياسين مفهوم المنهاج الذي صار علماً على مشروعه الإصلاحي (المنهاج النبوي)، وهو مستلهم من قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: 48]، واستخدام كلمة منهاج مقدم عند الإمام على استخدام كلمة منهج أو منهجية الدارجتان في الكتب العلمية والرسائل الجامعية إذ يقول: "نستعمل الكلمة القرآنية منهاج حيث يستعمل غيرنا لفظة منهج أو منهجية"[27]. ويربط هذا المفهوم بمفهوم آخر هو اقتحام العقبة لأن المنهاج هو: "اقتحام لكل العقبات النفسية والاجتماعية والاقتصادية والجغرافية".[28]

---

[21] ياسين، عبد السلام، *رجال القومة والإصلاح*، ص 26.

[22] ياسين، عبد السلام، *العدل، الإسلاميون والحكم*، ص 240.

[23] ياسين، عبد السلام (1995م) *مقدمات في المنهاج*. مصر: دار البشير للثقافة والعلوم، ص 15.

[24] المرجع السابق، ص 16.

[25] ياسين، عبد السلام (1998م) *المنهاج النبوي تربية وتنظيماً وزحفاً*. الدار البيضاء: مطبوعات الأفق، ص 42.

[26] ياسين، عبد السلام، (2001م، *تنوير المؤمنات*، ص 27.

[27] ياسين، عبد السلام، *مقدمات في المنهاج*. ص 23.

[28] المرجع السابق. ص 26.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, Special Issue, (2019), pp. 128-139
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

والمنهاج النبوي مشروع يهدف إلى بناء المجتمع المسلم، وتربية الأجيال على بصيرة، ومواجهة التحديات التي ابتليت بها الأمة الإسلامية، قال رحمه الله: "المنهاج النبوي ضروري لتفسير التاريخ والواقع، ضروري لفتح النظرة المستقبلية، ضروري لرسم الخطة الإسلامية دعوة ودولة، تربية وتنظيماً وزحفاً، ضروري لمعرفة الروابط الشرعية بين أمل الأمة وجهادها، ضروري لمعرفة مقومات الأمة وهي تبحث عن وحدتها، ضروري لإحياء عوامل التوحيد والتجديد، ضروري لمعالجة مشاكل الأمة الحالية قصد إعادة البناء".[29]

المصطلحات والمفاهيم في فن التصوف:

لا شك أن علماء الصوفية طوعوا مجموعة من المفرداا القرآنية لتكون مصطلحات ومفاهيماً في فن التصوف فالشهود مصطلح راسخ في علم التصوف، وفي جهودهم المتواصلة للتقريب بين عالم الحق والخلق أوجد المتوصفة أنواعاً من التوحيد: التوحيد الإرادي (الفناء عن عبادة السوى)، والتوحيد الشهودي (الفناء عن شهود السوى)، والتوحيد الوجودي (الفناء عن وجود السوى)، فالأول هو دوبان إرادة العبد في إرادة الله، وفناء رغائبه في رغائب الله، فلا يريد العبد إلا ما يريده الله، ولا يحب إلا ما يحبه الله؛ والثاني اتحاد العبد مع الله اتحاد عيان ومكاشفة ومشاهدة لا اتحاد جواهر وأعيان، وقد أقر ابن تيمية وابن خلدون وغيرهما هذين النوعين وبالثاني تم تبرير بعض الشطحات الصوفية الصادرة عن أبي يزيد البسطامي والحلاج وغيرهما؛ وأما التوحيد الثالث فهو وحدة الوجود أي الجمع بين الواحد والمتعدد، وربط اللانهائي بالنهائي والمطلق بالنسبي المتغير، ومن ثم إلغاء الثنائية والفصل التام بين الله والعالم فيتراءى لهم الله والعالم حقيقة واحدة هي علة نفسها ومعلولة ذاتها وهي نظرية فلسفية سماها ابن تيمية فناء أهل الوحدة والملاحدة![30]

وما يهمنا هو التوحيد الشهودي أو الفناء عن شهود السوى، فمصطلح الشهود قد يكون مبناه من بعض الآيات القرآنية كقوله تعالى: (عالم الغيب والشهادة) [الأنعام: 72]، و[التوبة: 94]، و[التوبة: 105]، و[الرعد: 9]، و[المؤمنون: 92] و [السجدة: 6]، و[الزمر: 46]، و[الحشر: 22]، و[الجمعة: 8]، و[التغابن: 18]. فالمسافة بين الغيب والشهود تتضاءل كلما فني الصوفي عن مشاهدة السوى فتتحول كثير من الغيبيات إلى مشاهدات في حالة الاصطلام الصوفي!

ينبئنا التاريخ عن عمالقة في تاريخ الفكر الإسلامي لجأوا إلى التجربة الصوفية وقت محنهم العقلية والسياسية والاجتماعية، لا هرباً من واقعهم بل استجابة إلى نداء المولى الذي يطالب عباده أن يفروا إليه! فالغزالي الفيلسوف الذي ناظر كبار الفلاسفة، والأصولي الذي اقتدى بمستصفاه الأصوليون والفقيه الذي يخطأ من يتجاوز كتبه في الفقه الشافعي؛ وابن تيمية الفيلسوف والمتكلم والمحدث والفقيه والمفسر؛ وابن خلدون المؤرخ العظيم صاحب المقدمة

[29] ياسين، عبد السلام. (1989م) *نظرات في الفقه والتاريخ* الدار البيضاء: دار الخطابي للطباعة والنشر، ص: 11.

[30] فتاح، عرفان عبد الحميد (1993م) *نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها*. بيروت: دار الجيل، ص 180-187 بإيجاز شديد.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, Special Issue, (2019), pp. 128-139
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

الإسلامية إلى علم الاجتماع والسياسي البارع....هؤلاء العمالقة دخلوا في تجربة صوفية حقيقية فكانت تقريراتهم عن التصوف عميقة في دلالاتها، ودقيقة في موضوعاتها، وشكلت بمجموعها مرجعاً للأجيال والباحثين حول المعرفة الصوفية ومدارج التصوف ومسالكه. ومن ظن أن هؤلاء وغيرهم دراويش بضاعتهم الرقص وانتحال الكرامات فهو سطحي في قراءاته، متبع لتابع يرثى له!

ويخال لمن يتابع سير هؤلاء العمالقة أنهم فعلاً هربوا من واقعهم وفشلهم متلمسين بصيصاً من الأمل في مجالس النسيان والعزلة، ولو اطلع على بعض الأدبيات الصوفية، كأشعار حافظ الشيرازي الذي يسمى الرباط أو الزاوية الصوفية بالخمارة!، لتأكد له هذا الظن، ولكن لِمَ نَقِفُ وسط قراءاتنا لسيرهم ولا نتابع مسيرة حياتهم بعد انصرافهم إلى الخلوة وانصرافهم منها؟ ألم يخرج الغزالي بمشروع مستنير بعد تجربته الصوفية؟ ألم يكن إحياء علوم الدين بما له وعليه محاولة لإصلاح حال الأمة؟

والإمام عبد السلام ياسين لجأ إلى التصوف بعد حالة من الحيرة والاضطراب وهو في سن الأربعين فاحتضنه رباط الشيخ العباس، وذاق حلاوة التجربة الصوفية، ودان لطهارتها وسحرها، إلا أنه لم يقف عند حدودها النورانية الطاغية، بل رأى في عزلتها خطراً على سير الدعوة، وموتاً للمنهاج النبوي في صورته التي اكتملت في فكره، وسعى إلى تحقيقه سعي المجاهد المخلص. وكتابه الإحسان خير دليل على هذا، فقد ألفه بعد أكثر من عقدين على تجربته الصوفية، فلم يجد حرجاً في الانتصار للتصوف المستنير بالكتاب والسنّة، كما لم يجامل السادة الصوفية في رأيه الحاسم حول العزلة السلبية والانقطاع عن المجتمع والاستسلام لسحر الجذبة ونور المواجيد وحلاوة التجربة.

وقد وضع الإمام ياسين مجموعة من القواعد المقاصدية لضبط التجربة الصوفية، وحقائق أهل التصوف، ومنهاج السلوك خارج الحضرة الصوفية، وصاغ هذه القواعد على شكل نقاط في غاية الاختصار والإيجاز إلا أنها تشكل معالم كبيرة في طريق التجربة الصوفية وهي غير مرتبة حسب المتعارف عليه، وهي:[31]

أ. فطم السرّ عن الكدورات الطبيعية.
ب. فطم الروح عن التجارب الحسية.
ج. فطم العقل عن الخيالات الوهمية.

مقصد حفظ صفاء النفس: فطم الروح عن التجارب الحسية:

[31] ياسين، عبد السلام (1998م). *الإحسان* الدار البيضاء: مطبوعات الأفق، ص: 96/1. تذكرنا هذا القواعد الموجزة بالقواعد التي وضعها الإمام السيوطي في كتابه الصغير: تناسق الدرر في تناسب السور، وهي ثمانية تفريعات يقوم عليها علم المناسبة القرآنية والوحدة الموضوعية بين سور القرآن الكريم في ترتيبها العثماني. انظر: السيوطي، جلال الدين (1987م). *تناسق الدرر في تناسب السور*، القاهرة، عالم الكتب، ص: 24-25.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, Special Issue, (2019), pp. 128-139
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

وهذا المقصد جليل، يهدف إلى فصل تام بين التجربة الصوفية في آفاقها الروحية وتساميها على المادة وبين ما يكدر صفوها من انصراف العقل إلى تحصيل المنافع المادية وانصراف الجسد إلى الشهوات والمتع. ولا يتحقق هذا المقصد إلا بوجود المرشد، يقول الإمام عن طرق تحصيل الإحسان: "سماعٌ وقبول وتربية"[32]. وهذا المرشد قد يكون أدنى درجة علمية من المريد ولا ضير في ذلك فالمهم هو وجود المعلم الصادق: "لكن التربية القلبية التي ترسخ الإيمان، وتسمو بالروح لمعارج الإحسان، تلقاها على يد أهل الطريق كما تلقاها الغزالي وما لا يحصى من علمائنا العاملين".[33]

ومهما كانت قوة تأثير التجربة الصوفية في السالك عليه أن يعلم أن تجربته لا ترفع من مقامه أمام الناس، ولا تصنع منه قائداً أو مصلحاً، ولا تبيح له تخطي حدود ظواهر الدين، وأن السلوك إلى الله أعظم من هذا وذاك: "إن السلوك إلى الله جلت عظمته لا يمر عن طريق انتصابك قاضياً على الناس، ولا عن طريق تعمقك في دراسة علم السلوك، ولا عن طريق دفاعك الذي لا يجدي ولا يليق بما ابتدعه أصحاب الأحوال باسم التصوف، وما جناه المتفلسفون على الطريق باسم التصوف".[34]

مقصد حفظ الأسرار: فطم السرّ عن الكدورات الطبيعية:

لا ريب أن الشيخ ياسين يقصد بالسرّ هنا السريرة أي باطن الإنسان، وحقيقة نواياه، ولا يقصد بها أسرار الطريق وأسرار التجربة الصوفية بالتعيين وإن ضمنتها السريرة تبعاً، وهذا التضمين يحملنا على أن نضع أسرار التجربة في خفايا سريرة السالك، وفصلها عن الكدورات الطبيعية، كطلب الشهرة والجاه والمال، يعني الاحتفاظ بها في باطن النفس وعدم إفشائها احتفاظاً بنقاء السريرة مما يكدرها من الإقبال على الدنيا ومطالبها، وقد أجمع أصحاب التجربة الصوفية أن حفظ السر شرط لمن رام السلامة في مدارج السلوك والأحوال.

وقد اقتبس الإمام ياسين نتفاً من تقريرات الرفاعي حول المعرفة والسرّ، وهذه الاقتباسات تدل على قبول الإمام ياسين لها والاستشهاد بها من منابع التصوف والتجربة الصوفية: "واعلم أن مثل القلب كالقصر، والمعرفة فيه كالسلطان، والعقل أمير على الأركان، له تَبَعٌ وأعوان. واللسان كالترجمان. والسر من خزائن الرحمان. ولابد لكل واحد منها من الاستقامة في مواضعه. ودوران كلِّها على استقامة السر مع الحق جل وعلا. فإذا استقام السر استقامت المعرفة، فيستقيم العقل. وإذا استقام العقل استقام القلب. وإذا استقام القلب استقامت النفس. وإذا استقامت النفس استقامت الأحوال. فالسر مُنوَّر بنور الجمال والجلال. والعقل منور بنور اليقظة والاعتبار. والقلب مُنَوَّر بنور الخشية

[32] ياسين، عبد السلام، *الإحسان*، 81/1.

[33] ياسين، عبد السلام، (2001م) *رجال القومة والإصلاح*، ص:127.

[34] ياسين، عبد السلام (2009م) . *إمامة الأمة*. بيروت: دار لبنان للطباعة والنشر، ص:131.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, Special Issue, (2019), pp. 128-139
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

والأفكار. والنَّفس منورة بنور الرياضة والانزجار. فالسر بَحْرٌ من بحور العطايا، وأمواج الهمة فيه لا يحصى عددها، ولا يَنْقَطِع مددها. وإن استقامة السر مع الحق هي الدّوام على بساط المشاهدة، مع فقد رؤية الاستقامة".[35]

واقتبس تقريرات أوضح وأدل من كلام الشيخ عبد القادر: ""يا قوم! دعوا عنكم الهوسات والأمانيَّ الباطلة. اِخرَسْ أنت. فإن أراد الله عز وجل منك النطق فهو ينطقك. إذا أرادك لأمر هيأك له. صحبتُه سبحانه والأدب معه خرسٌ كليٌّ. فإذا تم الخرس يجيء النطق منه إن شاء أو يديم ذلك إلى حينِ الاتصال بالآخرة. وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: من عرف الله كلَّ لسانُه. يَكِلّ لسان ظاهره وباطنه عن الاعتراض عليه في شيء من الأشياء. يصير موافَقَةً بلا منازعة. يُعْمِي عينيْ قلبه عن النظر إلى غيره. يتمزق سرُّه، ويتلاشى أمرُه، ويتفرق ماله، ويخرج من وجوده، ويخرج من دنياه وآخرته. يذهب اسمُه ورسمُه".[36]

مقصد ضبط العقل: حفظ العقل عن الخيالات الوهمية:

المحافظة على العقل من متاهات المعرفة الصوفية مقصد مارسه الإمام ياسين حين انقطع عن الحضرة الصوفية وانصرف بكليته إلى العمل التنظيمي، ولم يستسلم لعذوبة النفحات الصوفية، وسحرها الذي أغرى الكثيرين بالعزلة والانكفاء في الرباط. فالذي يرابط في الزاوية الصوفية أشبه بمن فقد عقله لاستسلامه للجذبة الروحية التي لا تتميز في كثير من جوانبها عن الجنون والعته!

وفي هذا يقول الإمام ياسين: "إذا كنت وحدك في خلوة همُّك نفسك ومصيرُك ومقامُك عند الله فلا تُبالِ. أما إذا كان هم مصيرك ومقامك لا ينفك عن هم الأمة ومصيرها فما في المسلك الصوفي بهذا الصدد لك من أسوة. هم رضي الله عنهم خاضوا بلاء العزلة والصمت ودوام الصوم والمراقبة والذكر، ونحن معشر السالكين على محجة الجهاد، بلاؤنا بإطعام الجائع ودعوة الغافل، ورفع الصوت غضبا لله، ومخالطة الناس، وتنظيمهم في صف الجهاد، مع دوام ذكر الله، والاستمساك بحبل الله، والاعتصام به لتوحيد الأمة بعد طرد المستكبرين والمترفين من سدة السلطان. وبلاء الحاجة والفاقة والتخلف، فإننا كالأيتام في مأدبة اللئام الحضارية الوفرية، باعث مادي مضايق مُلح قابض على الحلقوم يجرنا بسلاسل الضرورة للوحدة وما تقتضيه ونقتضيه من التصنيع والفاعلية في الأرض".[37]

4. الخاتمة

حول القرآن الكريم مجموعة من المفردات والتراكيب التي كانت دارجة في الخطاب اليومي للوثنيين إلى مصطلحات إسلامية مباشرة ودون مقدمات واكتسبت معانيها الاصطلاحية من خلال التطبيقات النبوية العملية كالصلاة والصيام

[35] ياسين، عبد السلام، الإحسان، 264/1.
[36] المرجع نفسه، 275/1.
[37] المرجع نفسه، 170/1.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, Special Issue, (2019), pp. 128-139
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

والزكاة والطهارة والظهار والجهاد، وبقيت مفردات وتراكيب قابلة للتحويل والتحوير، وقد وجد الشيخ ياسين فسحة منهجية في طرق بعض التراكيب القرآنية وتحويلها إلى مفاهيم ومصطلحات، وأهم النتائج التي توصل إليها البحث هي:

أ. مواجهة الحداثة وفق رؤية الأستاذ ياسين قومة تتم عبر مراحل من أسلمتها، وأول خطوة لأسلمة الحداثة هي أن نتحول من مستهلكين للحداثة، إلى زبائن يقظين يحاسبون الحداثة على ماضيها، والخطوة الثانية هي امتلاك الوسائل العلمية والتقنية من أجل تكييفها لغايتنا الاجتماعية: العدل والإحسان. وضرب الأستاذ ياسين على ذلك مثلاً دولة ماليزيا.

ب. مفهوم القومة الذي أسسه الإمام ياسين منهج قائم على سبع نقاط، وهي: قومة الداعي تبتدئ بقومة الرسول في قومه، بالرفق والتيسير. 2. القومة هدفها إحلال العدل محل الجور. 3. إقامة الصلاة. 4. تطهير الفطرة مما علق بها من الشوائب. 5. إقامة حدود الله. 6. تحكيم مبدأ الشورى. 7. إقامة الوحدة.

ج. أكثر المفاهيم القرآنية رسوخاً عند الشيخ ياسين مفهوم المنهاج الذي صار علماً على مشروعه الإصلاحي (المنهاج النبوي)، وهو مستلهم من قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: 48]، واستخدام كلمة منهاج مقدم عند الإمام على استخدام كلمة منهج أو منهجية الدارجتان في الكتب العلمية والرسائل الجامعية.

د. وضع الإمام ياسين مجموعة من القواعد المقاصدية لضبط التجربة الصوفية، وحقائق أهل التصوف، ومنهاج السلوك خارج الحضرة الصوفية، وصاغ هذه القواعد على شكل نقاط في غاية الاختصار والإيجاز إلا أنها تشكل معالم كبيرة في طريق التجربة الصوفية وهي غير مرتبة حسب المتعارف عليه، وهي: 1. فطم السرّ عن الكدورات الطبيعية. 2. فطم الروح عن التجارب الحسية. 3. فطم العقل عن الخيالات الوهمية.

هـ. المحافظة على العقل من متاهات المعرفة الصوفية مقصد مارسه الإمام ياسين حين انقطع عن الحضرة الصوفية وانصرف بكليته إلى العمل التنظيمي، ولم يستسلم لعذوبة النفحات الصوفية، وسحرها الذي أغرى الكثيرين بالعزلة والانكفاء في الرباط. فالذي يرابط في الزاوية الصوفية أشبه بمن فقد عقله لاستسلامه للجذبة الروحية التي لا تتميز في كثير من جوانبها عن الجنون والعته!

REFERENCES (المصادر والمراجع)

[1] Al-JurjÉnÊ, ‘Ali Bin MuhÉmmad Bin ‘Ali: **Al-Ta’rÊfÉt. Edited by IbrÉhÊm al-AnyÉrÊ** (Beirut: DÉr al-KitÉb al-‘ArabÊ. 1st Edition. 1405 H).

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH

Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, Special Issue, (2019), pp. 128-139
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

[2] FattÉh, IrfÉn AbdulhamÊd (1993). *Nash'atul Falsafa al-SËfiyyah wa taÏawuruhÉ*. Beirut: DÉr al-JÊl.

[3] Al-MaqdisÊ, Ibnu QudÉmÉ (1971): *Muthakkirat UÎËl al-Fiqh 'Ala RaqÌatil NÉzir* Beirut: DÉr al-Qalam..

[4] YassÊne, Abdessal (2009). Ém. *ImÉmatul UmmÉh*. Beirut: DÉr Lubnan.

[5] YassÊne, AbdessalÉm (1997). ×*iwÉr ma'a ØadÊq AmÉzigi*. Casablanca: MaÏbË'Ét Ufuq..

[6] YassÊne, AbdessalÉm (2005). *SunnatullÉh*. TÉÏwan: MaÏba"at al-KhalÊj al-'ArÉbÊ.

[7] YassÊne, AbdessalÉm (1989). *NazarÉt fil Fiqh wal QÉnËn*. Cazablanca: dÉr al-KhaÏÏÉbÊ.

[8] YassÊne, AbdessalÉm (1998). *Al-IhsÉn*. Cazablanca: MaÏbu'Ét ufuq.

[9] YassÊne, AbdessalÉm. (2000). *Al-IslÉm wal HadÉtha*. Morocco: MaÏbu'Ét al-HilÉl.

[10] YassÊne, AbdessalÉm. (2003). *Al-ShurÉ wal DimoqrÉtiyyÉh*. Beirut: DÉr al-Ïiba'Éh wal Nashr.

[11] YassÊne, AbdessalÉm (2000). *Al-'dl al-IslamiyyËn wal Hukum*. Morocco: DÉr al-'ÉfÉq.

[12] YassÊne, AbdessalÉm. (1998). *Al-MinhÉj al-NabÉwi Tarbiyatan wa Tanziman wa Zahfan* Cazablanca: MaÏbË'Ét al-Ufuq.

[13] YassÊne, AbdessalÉm (1996).. *TanwÊr al-Mu'minÉt*. Cazablanca: MaÏbË'Ét al-Ufuq.

[14] YassÊne, AbdessalÉm. (1994). *HiwÉr Ma'al FuÌalÉ' al-DimuqrÉtiyyÊn*. Cazablanca: MaÏbË'Ét al-Ufuq.

[15] YassÊne, AbdessalÉm. (2001). *RijÉl al-Qawma wal IÎlÉh*. Cazablanca: MaÏÉbi' IfrÊqyÉ al-Sharq.

[16] YassÊne, AbdessalÉm. (1994). *Mihnat al-Aql al-Muslim baina Siyadail Wahi wa Øaytaratil Hawa*. Cazablanca: Mu'assasat al-TaglÊf wal Ùiba'a wal TawzÊ' LilshimÉl.

[17] YassÊne, AbdessalÉm (1995). MuqaddimÉt fil MinhÉj Egypt: DÉr al-BashÊr LilthaqÉfa wal UlËm. 2nd Edition.